وقف لله تعالى

يهدى ولا يباع

القضاء والقدر

فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

طبع على نفقة أحد المحسنين

غفر الله له ولوالديه ولأهله وذريته وأعظم له المثوبة

بســم الله الرحمن الرحيـم

الحمـد لله نحمـده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليـه، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنـا ومن سيئـات أعـمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهــاده حتى أتـاه اليقـين فصلوات الله وسـلامـه عليـه، وعـلى آلـه وأصحـابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد...

فأيهـا الإخـوة الكـرام إننا في هذا اللقاء الذي نرجو أن يفتح الله علينا فيه من خزائن فضله ورحمته وأن يجعلنا من الهداة المهتدين ومن القادة المصلحين

ومن المستمعين المنتفعين، نبحث في أمر مهم يهم جميع المسلمين ألا وهو «قضاء الله وقدره» والأمر ولله الحمد واضح ولولا أن التساؤلات قد كثرت، ولولا أن الأمر اشتبه على كثير من الناس ولولا كثرة من خاض في الموضوع بالحق تارة وبالباطل تارات ونظراً إلى أن الأهواء انتشرت وكثرت وصار الفاسق يريد أن يبرر لفسقه بالقضاء والقدر لولا هذا وغيره ماكنا نتكلم في هذا الأمر.

والقضاء والقدر مازال النزاع فيه بين الأمة قديماً وحديثاً، فقد رُوِي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فنهاهم عن ذلك وأخبر أنه ما أهلك الذين من قبلكم إلا هذا الجدال.

ولكن فتح الله على عباده المؤمنين السلف الصالح الذين سلكوا طريق العدل فيما علموا وفيما قالوا، وذلك أن قضاء الله تعالى وقدره من ربوبيته

سبحانه وتعالى لخلقه فهو داخل في أحد أقسام التوحيد الثلاثة التي قسّم أهل العلم إليها توحيد الله عز وجل :-

القسم الأول :- توحيد الألوهية وهو إفراد الله تعالى بالعبادة .

القسم الثاني :- توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير.

القسم الثالث :- توحيد الأسماء والصفات وهو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته .

فالإيمان بالقدر هو من ربوبية الله عز وجل ، ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ : القدر قدرة الله . أ . هـ . لأنه من قدرته ومن عمومها بلا شك ، وهو أيضاً سر الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، مكتوب في اللوح المحفوظ في الكتاب المكنون الذي لا يطلع عليه أحد ، ونحن لا نعلم بما قدره الله لنا أو علينا ، أو بما قدره الله تعالى في

مخلوقاته إلا بعد وقوعه أو الخبر الصادق عنه.

أيها الإخوة إن الأمة الإسلامية انقسمت في القدر إلى ثلاثة أقسام:-

القسم الأول :- غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته واختياره وقالوا: إن العبد ليس له قدرة ولا اختيار وإنما هو مسير لا مخير كالشجرة في مهب الريح، ولم يفرقوا بين فعل العبد الواقع باختياره وبين فعله الواقع بغير اختياره. ولاشك أن هؤلاء ضالّون، لأنه مما يعلم بالضرورة من الدين، والعقل والعادة؛ أن الإنسان يفرق بين الفعل الإختياري والفعل الإجباري.

القسم الثاني :- غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره حتى نفوا أن يكون لله تعالى مشيئة، أو اختيار، أو خلق فيما يفعله العبد، وزعموا أن العبد مستقل بعمله حتى غلا طائفة منهم فقالوا إن الله تعالى لا

يعلم بما يفعله العباد إلا بعد أن يقع منهم، وهؤلاء أيضاً غلوا وتطرفوا تطرفاً عظيماً في إثبات قدرة العبد واختياره.

القسم الثالث :ـ وهم الذين آمنوا فهداهم الله لما اختُلِف فيه من الحق وهم أهل السنة والجماعة سلكوا في ذلك مسلكاً وسطاً قائماً على الدليل الشرعي وعلى الدليل العقلي، وقالوا: إن الأفعال التي يحدثها الله تعالى في الكون تنقسم إلى قسمين:ـ

القسم الأول :ـ ما يجريه الله تبارك وتعالى من فعله في مخلوقاته فهذا لا اختيار لأحدٍ فيه، كإنزال المطر وإنبات الزرع والإحياء والإماتة والمرض والصحّة وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تُشَاهَد في مخلوقات الله تعالى. وهذه بلا شك ليس لأحد فيها اختيار وليس لأحد فيها مشيئة وإنما المشيئة فيها لله الواحد القهار.

القسم الثاني :ـ ما تفعله الخلائق كلها من ذوات الإرادة فهــذه الأفعــال تكــون باختيــار فاعليهــا وإرادتهم، لأن الله تعــالى جعل ذلك إليهم قال الله تعالى : ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾[1] وقال تعالى : ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾[2] وقــال تعــالى : ﴿فــمــن شاء فليـؤمـن ومـن شاء فليكفر﴾[3] . والإنسان يعرف الفرق بين ما يقع منه باختياره وبين ما يقع منه باضطرار وإجبار، فالإنسان ينـزل من السطح بالسلم نزولاً اختيارياً يعرف أنه مختــار. ولكنه يسقط هاوياً من السطح ويعرف أنه ليس مختاراً لذلك، ويعرف الفرق بين الفعلين وأن الثاني إجبار والأول اختيار وكل إنسان يعرف ذلك .

وكذلك الإنسان يعرف أنه إذا أُصِيب بمرض

(١) سورة التكوير آية «٢٨» .
(٢) سورة آل عمران آية (١٥٢) .
(٣) سورة الكهف آية (٩) .

سلس البول فإن البول يخرج منه بغير اختياره، وإذا كان سليماً من هذا المرض فإن البول يخرج منه باختياره ويعرف الفرق بين هذا وهذا، ولا أحد ينكر الفرق بينهما وهكذا جميع ما يقع من العبد يعرف فيه الفرق بين ما يقع اختياراً وبين ما يقع اضطراراً وإجباراً، بل إن من رحمة الله عز وجل أن من الأفعال ماهو باختيار العبد ولكن لا يلحقه منه شيء كما في فعل الناسي والنائم يقول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾(١) وهم الذين يتقلبون ولكن الله تعالى نسب الفعل إليه لأن النائم لا اختيار له ولا يُؤاخذ بفعله فنسب فعله إلى الله عز وجل، ويقول النبي ﷺ «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه» فنسب هذا الإطعام وهذا الإسقاء إلى الله عز وجل، لأن الفعل وقع منه بغير ذكر فكأنه صار بغير

(١) سورة الكهف آية (١٨).

اختياره، وكلنا يعرف الفرق بين ما يجده الإنسان من ألم بغير اختياره وما يجده من خفة في نفسه أحياناً بغير اختياره، ولا يدري ما سببه، وبين أن يكون الألم هذا ناشئاً من فعل هو الذي اكتسبه، أو هذا الفرح ناشئاً من شيء هو الذي اكتسبه وهذا الأمر ولله الحمد واضح لا غبار عليه.

أيها الإخوة :- إننا لو قلنا بقول الفريق الأول الذين غالوا في إثبات القدر لبطلت الشريعة من أصلها لأن القول بأن فعل العبد ليس له فيه اختيار يلزم منه أن لا يُحمد على فعل محمود ولا يُلام على فعل مذموم لأنه في الحقيقة بغير اختيار وإرادة منه وعلى هذا فالنتيجة إذن أن الله تبارك وتعالى يكون - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - ظالماً لمن عصى إذا عذّبه وعاقبه على معصيته لأنّه عاقبه على أمر لا اختيار له فيه ولا إرادة، وهذا بلا شك مخالف للقرآن صراحة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد ألقيا في

جهنم كلَّ كفار عنيد منَّاع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إله آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لديَّ وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يُبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد﴾[1] فبين سبحانه أن هذا العقاب منه ليس ظلماً بل هو كمال العدل لأنه قد قدم إليهم بالوعيد وبين لهم الطرق وبين لهم الحق وبين لهم الباطل ولكنهم اختاروا لأنفسهم أن يسلكوا طريق الباطل فلم يبق لهم حجة عند الله عز وجل ولو قلنا بهذا القول الباطل لبطل قول الله تعالى : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[2] فإن الله تبارك وتعالى نفى أن يكون للناس حجة بعد إرسال الرسل لأنهم قامت عليهم الحجة بذلك فلو كان القدر حجة لهم لكانت هذه

(١) سورة ق آية (٢٣ ـ ٢٩) .

(٢) سورة النساء آية (١٦٥) .

الحجة باقية حتى بعد بعث الرسل لأن قدر الله تعالى لم يزل ولا يزال موجوداً قبل إرسال الرسل وبعد إرسال الرسل، إذن فهذا القول تبطله النصوص ويبطله الواقع كما فصلنا بالأمثلة السابقة.

أما أصحاب القول الثاني فإنهم أيضاً ترد عليهم النصوص والواقع؛ ذلك لأن النصوص صريحة في أن مشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله عز وجل ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾(١) ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾(٢) ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾(٣) والذين يقولون بهذا القول هم في الحقيقة مبطلون لجانب من جوانب الربوبية، وهم أيضاً مُدَّعُون بأن في ملك الله تعالى مالا يشاؤه ولا

---

(١) سورة التكوير الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).
(٢) سورة القصص آية (٦٨).
(٣) سورة يونس آية (٢٥).

يخلقه والله تبارك وتعالى شاءٍ لكل شيء، خالق لكل شيء، مقدر لكل شيء وهم أيضاً مخالفون لما يعلم بالاضطرار من أن الخلق كله ملك لله عز وجل ذواته وصفاته لا فرق بين الصفة والذات ولا بين المعنى وبين الجسد. إذن فالكل لله عز وجل ولا يمكن أن يكون في ملكه مالا يريد تبارك وتعالى ولكن يبقى علينا إذا كان الأمر راجعاً إلى مشيئة الله تبارك وتعالى وأن الأمر كله بيده فما طريق الإنسان إذن وما حيلة الإنسان إذا كان الله تعالى قد قدّر عليه أن يضل ولا يهتدي؟

فنقول الجواب عن ذلك :ـ أن الله تبارك وتعالى إنما يهدي من كان أهلاً للهداية ويضل من كان أهلاً للضلالة يقول الله تبارك وتعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾(١) ويقول تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن

(١) سورة الصف آية (٥).

مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾[1] فبين الله تبارك وتعالى أن أسباب إضلاله لمن ضل إنما هو بسبب من العبد نفسه، والعبد كما أسلفنا آنفاً لا يدري ما قدر الله تعالى له لأنه لا يعلم بالقدر إلا بعد وقوع المقدور فهو لا يدري هل قدر الله له أن يكون ضالاً أم أن يكون مهتدياً؟ فما باله يسلك طريق الضلال ثم يحتج بأن الله تعالى قد أراد له ذلك أفلا يجدر به أن يسلك طريق الهداية ثم يقول إن الله تعالى قد هداني للصراط المستقيم؟

أيجدر به أن يكون جبرياً عند الضلالة قدرياً عند الطاعة؟! كلا لا يليق بالإنسان أن يكون جبرياً عند الضلالة والمعصية فإذا ضل أو عصىٰ الله قال هذا أمر قد كُتِب عليّ وقُدِر عليّ ولا يمكنني أن أخرج عما قضىٰ الله وقدر، وإذا كان في جانب الطاعة ووفقه الله تعالى للطاعة والهداية زعم أن ذلك منه ثم منّ به على

---
(١) سورة المائدة آية (١٣).

الله وقال أنا أتيت به من عند نفسي فيكون قدرياً في جانب الطاعة جبرياً في جانب المعصية، هذا لا يمكن أبداً، فالإنسان في الحقيقة له قدرة وله اختيار، وليس باب الهداية بأخفى من باب الرزق وبأخفى من أبواب طلب العلم والإنسان كما هو معلوم لدى الجميع قد قُدِّر له ما قُدِّر من الرزق ومع ذلك هو يسعى في أسباب الرزق في بلده وخارج بلده يميناً وشمالاً لا يجلس في بيته ويقول إن قُدِّر لي رزق فإنه يأتيني بل هو يسعى في أسباب الرزق مع أن الرزق نفسه مقرون بالعمل كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أحدكم يُجمَع خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يُبعَث إليه الملك فيُؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد» فهذا الرزق أيضاً مكتوب كما أن العمل من صالح أو سيء مكتوب فما بالك تذهب

يميناً وشمالاً وتجوب الأرض والفيافي طلباً لرزق الدنيا ولا تعمل عملاً صالحاً لطلب رزق الآخرة والفوز بدار النعيم، إن البابين واحد ليس بينهما فرق فكما أنك تسعى لرزقك وتسعى لحياتك وامتداد أجلك فإذا مرضت بمرض ذهبت إلى أقطار الدنيا تريد الطبيب الماهر الذي يداوي مرضك ومع ذلك فإن لك ما قدر من الأجل لا يزيد ولا ينقص ولست تعتمد على هذا وتقول أبقى في بيتي مريضاً طريحاً وإن قدَّر الله إليَّ أن يمتد الأجل امتد. بل نجدك تسعى بكل ما تستطيع من قوة وبحث لتبحث عن الطبيب الذي ترى أنه أقرب الناس أن يُقِّدر الله الشفاء على يديه فلماذا لا يكون عملك في طريق الآخرة وفي العمل الصالح كطريقك فيما تعمل للدنيا. وقد سبق أن قلنا أن القضاء سر مكتوم لا يمكن أن تعلم عنه فأنت الآن بين طريقين، طريق يؤدي بك إلى السلامة وإلى الفوز والسعادة والكرامة وطريق يؤدي

بك إلى الهلاك والندامة والمهانة وأنت الآن واقف بينهما ومخير ليس أمامك من يمنعك من سلوك طريق اليمين ولا من سلوك طريق الشمال، إذا شئت ذهبت إلى هذا وإذا شئت ذهبت إلى هذا فما بالك تسلك الطريق الشمال ثم تقول إنه قد قُدِّر علي. أفلا يليق بك أن تسلك طريق اليمين وتقول أنه قد قُدِّر لي؟! فلو أنك أردت السفر إلى بلد ما وكان أمامك طريقان أحدهما معبد قصير آمن، والآخر غير معبد وطويل ومخوف، لوجدنا أنك تختار المعبد القصير الآمن ولا تذهب إلى الطريق الذي ليس بمعبد وليس بقصير وليس بآمن هذا في الطريق الحسي إذن فالطريق المعنوي موازٍ له ولا يختلف عنه أبداً، ولكن النفوس والأهواء هي التي تتحكم أحياناً في العقل وتغلب على العقل، والمؤمن ينبغي أن يكون عقله غالباً على هواه وإذا حكَّم عقله فالعقل بالمعنى الصحيح يعقل صاحبه عما يضره ويدخله فيما ينفعه ويسره.

بهذا تبيَّن لنا أن الإنسان يسير في عمله الاختياري سيراً اختيارياً ليس إجبارياً، وأنه كما يسير لعمل دنياه سيراً اختيارياً وهو إن شاء جعل هذه السلعة أو تلك تجارته فكذلك أيضاً هو في سيره إلى الآخرة يسير سيراً اختيارياً بل إن طرق الآخرة أبين بكثير من طرق الدنيا لأن الذي بيَّن طرق الآخرة هو الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فلابد أن تكون طرق الآخرة أكثر بياناً وأجلى وضوحاً من طرق الدنيا ومع ذلك فإن الإنسان يسير في طرق الدنيا التي ليس ضامناً لنتائجها، ولكنه يدع طرق الآخرة التي نتائجها مضمونة معلومة لأنها ثابتة بوعد الله والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد.

بعد هذا نقول :- إن أهل السنة والجماعة قرروا هذا وجعلوه عقيدتهم ومذهبهم أن الإنسان يفعل باختياره وأنه يقول كما يريد ولكن إرادته واختياره تابعان لإرادة الله تبارك وتعالى ومشيئة، ثم

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن مشيئة الله تعالى تابعة لحكمته وأنه سبحانه وتعالى ليست مشيئة مطلقة مجردة ولكنهـا مشيئة تابعة لحكمته لأن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكيم هو الحـاكم المُحْكِم الذي يحكم الأشيـاء كونـاً وشرعـاً ويحكمها عملاً وصنعاً، والله تعـالى بحكمتـه يقـدر الهـداية لمن أرادها لمن يعلم سبحانه وتعالى أنه يريد الحق وأن قلبه على الاستقامة ويقدر الضلالة لمن لم يكن كذلك لمن إذا عرض عليه الإسـلام يضيق صدره كأنـما يصَّعَّـد في السماء فإن حكمـة الله تبـارك وتعـالى تأبى أن يكـون هذا من المهتدين إلا أن يجدد الله له عزماً ويقلب إرادته إلى إرادة أخـرى والله تعالى على كل شيء قدير، ولكن حكمة الله تأبى إلا أن تكون الأسباب مربوطة بها مسبباتها.

ومراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة أربع مراتب:ـ

المرتبة الأولى :ـ العلم وهي أن يؤمن الإنسان إيماناً جازماً بأن الله تعالى بكل شيء عليم وأنه يعلم ما في السموات والأرض جملة وتفصيلاً سواءً كان ذلك من فعله أو من فعل مخلوقاته، وأنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء.

المرتبة الثانية :ـ الكتابة وهي أن الله تبارك وتعالى كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

وقد جمع الله تعالى بين هاتين المرتبتين في قوله: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾(١) فبدأ سبحانه بالعلم وقال إن ذلك في كتاب أي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ كما جاء به الحديث عن رسول الله ﷺ ﴿إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب ماذا أكتب؟ قال اكتب ماهو كائن فجرى في تلك الساعة

---

(١) سورة الحج آية (٧٠).

بما هو كائن إلى يوم القيامة» ولهذا سُئِل النبي ﷺ عما نعمله أشيء مستقبل أم شيء قد قُضِي وفُرغ منه؟ قال إنه قد قضى وفرغ منه. وقال أيضاً حين سُئِل أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب الأول؟ قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» فأمرهم النبي ﷺ بالعمل، فأنت يا أخي اعمل وأنت ميسر لما خُلِقت له.

ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذَّب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾[1].

المرتبة الثالثة :- المشيئة وهي أن الله تبارك وتعالى شاء لكل موجود أو معدوم في السمٰوات أو في الأرض فما وُجِد موجود إلا بمشيئة الله تعالى، وما عُدِم معدوم إلا بمشيئة الله تعالى وهذا ظاهر في القرآن الكريم وقد أثبت الله تعالى مشيئته في فعله ومشيئته في

---

(١) سورة الليل الآيات (٥ ـ ١٠).

فعل العباد فقال الله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[1] ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾[2] ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾[3] فبين الله تعالى أن فعل الناس كائن بمشيئته، وأما فعله تعالى فكثير قال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كلَّ نفس هداها﴾[4] وقوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾[5] إلى آيات كثيرة تثبت المشيئة في فعله تبارك وتعالى، فلا يتم الإيمان بالقدر إلا أن نؤمن بأن مشيئة الله عامة لكل موجود أو معدوم فما من معدوم إلا وقد شاء الله تعالى عدمه وما من موجود إلا وقد شاء الله تعالى وجوده ولا يمكن أن يقع شيء في السموات ولا في

(١) سورة التكوير الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).
(٢) سورة الأنعام آية (١١٢).
(٣) سورة البقرة (٢٥٣).
(٤) سورة الأنعام (١٣٧).
(٥) سورة هود آية (١١٨).

الأرض إلا بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة :ـ الخلق أي أن نؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء فما من موجود في السمٰوات والأرض إلا الله خالقه حتى الموت يخلقه الله تبارك وتعالى وإن كان هو عدم الحياة يقول الله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[1]. فكل شيء في السمٰوات أو في الأرض فإن الله تعالى خالقهُ لا خالق إلا الله تبارك وتعالى. وكلنا يعلم أن ما يقع من فعله سبحانه وتعالى بأنه مخلوق له فالسمٰوات والأرض والجبال والأنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح والإنسان والبهائم كلها مخلوقات الله وكذلك ما يحدث لهذه المخلوقات من صفات وتقلبات وأحوال كلها أيضاً مخلوقة لله عز وجل. ولكن قد يشكل على الإنسان كيف يصح أن

(١) سورة الملك آية (٢).

نقول في فعلنا وقولنا الاختياري إنه مخلوق لله عز وجل؟

فنقول نعم يصح أن نقول ذلك لأن فعلنا وقولنا ناتج عن أمرين :-

أحدهما :- القـدرة.

والثاني :- الإرادة.

فإذا كان فعل العبد ناتجاً عن إرادته وقدرته فإن الـذي خلق هذه الإرادة وجعل قلب الإنسان قابلاً للإرادة هو الله عز وجـل، وكـذلك الذي خلق فيه القـدرة هو الله عز وجـل ويخلق السبب التام الذي يتولد عنه المسبب نقول إن خالق السبب التام خالق للمسبب أي أن خالق المؤثر خالق للأثر، فوجه كونه تعـالى خالقـاً لفعل العبد أن نقول: إن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين هما:-

(١) الإرادة.

(٢) القـــدرة.

فلولا الإرادة لم يفعل، ولولا القدرة لم يفعل لأنه إذا أراد وهو عاجز لم يفعل لعجزه عن الفعل وإذا كان قادراً ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعل ناتجاً عن إرادة جازمة وقدرة كاملة فالذي خلق الإرادة الجازمة والقدرة الكاملة هو الله، وبهذه الطريق عرفنا كيف يمكن أن نقول إن الله تعالى خالق لفعل عبده وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة فهو المتطهر وهو المصلي وهو المزكي وهو الصائم وهو الحاج وهو المعتمر وهو العاصي وهو المطيع لكن هذه الأفعال كلها كانت ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقتين لله عز وجل والأمر ولله الحمد واضح.

وهذه المراتب الأربع المتقدمة يجب أن تثبت لله عز وجل وهذا لا ينافي أن يضاف الفعل إلى فاعله من ذوي الإرادة.

كما أننا نقول النار تحرق والذي خلق الإحراق فيها هو الله تعالى بلا شك فليست محرقة بطبيعتها بل

هي محرقة بكون الله تعالى جعلها محرقة ولهذا لم تكن النار التي أُلقِي فيها إبراهيم محرقة لأن الله قال لها: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾(١). فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم، فالنار بذاتها لا تحرق ولكن الله تعالى خلق فيها قوة الإحراق، وقوة الإحراق هي في مقابل فعل العباد كإرادة العبد وقدرته فبالإرادة والقدرة يكون الفعل، وبالمادة المحرقة في النار يكون الإحراق فلا فرق بين هذا وهذا، ولكن العبد لما كان له إرادة وشعور واختيار وعمل صار الفعل ينسب إليه حقيقة وحكماً صار مؤاخذاً بالمخالفة معاقباً عليها لأنه يفعل باختيار ويدع باختيار.

وأخيراً نقول :ـ على المؤمن أن يرضى بالله تعالى رباً ومن تمام رضاه بالربوبية أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويعلم أنه لا فرق في هذا بين الأعمال التي

---

(١) سورة الأنبياء آية (٦٩).

يعملها وبين الأرزاق التي يسعى لها، وبين الأجال التي يدافعها؛ الكل بابه سواء والكل مكتوب والكل مقدر وكل إنسان ميسر لما خلق له.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يُيَسرَّون لعمل أهـل السعـادة وأن يكتب لنـا الصـلاح في الـدنيـا والآخرة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمـــت بحمـــد الله تـعــالى

أخي المسلم بعد قراءتك لهذا الكتاب نرجو إهداءه إلى غيرك ليعم نفعـه ولا تنس يا أخي أن تدعـو لمن طبعه على نفقته بالأجر العظيم والفوز بجنات النعيم ووالديه ولأهله وذريته.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الباعث على البحث في هذا الموضوع	٤
النزاع في القدر بين الأمة قديماً وحديثاً	٤
نهي النبي ﷺ عن النزاع في القدر	٤
أقسام التوحيد	٥
القدر سر الله تعالى المكتوم	٥
أقوال الناس في القدر	٦
القسم الأول: ـ غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته	٦
القسم الثاني: ـ غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره	٦
القسم الثالث: ـ أهل السنة والجماعة وتفصيل قولهم	٧
الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري	٨

عقاب الله تعالى للعاصي ليس ظلماً له بل هو
كمـال العدل ١١
مشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله عز وجل ١٢
ما حيلة الإنسان إذا كان الله تعالى قدر
عليه أن يضل ولا يهتدي؟ ١٢
هل يليق بالإنسان أن يكون جبرياً
عند الضلالة قدرياً عند الطاعة ١٤
ليس باب الهداية بأخفى من باب
الرزق ١٤
ما بال الإنسان يجوب الأرض طلباً للرزق،
ولا يعمل عملاً صالحاً لطلب رزق الآخرة ١٥
الإنسان كما يسير لعمل دنياه سيراً اختيارياً
فكذلك سيره إلى الآخرة ١٨
طريق الآخرة أبين من طريق الدنيا ١٨
إرادة الإنسان واختياره تابعة لإرادة الله
تعالى ومشيئته ١٨

مراتب القضاء والقدر ١٩
المرتبة الأولى العلم ٢٠
المرتبة الثانية الكتابة ٢٠
المرتبة الثالثة المشيئة ٢١
المرتبة الرابعة الخلق ٢٣
كيف تكون أفعال العباد مخلوقة لله
عــز وجــل ٢٤
فعل العبد ناتج عـن أمرين ٢٤
الفعل ينسب إلى العبد حقيقة وحكماً ٢٥
من تمـام الرضـى بالربوبية الإيمـان
بالقضاء والقـدر ٢٦
الـفهـــرس ٢٨